عن الجحاذر: التعليم العالي نموذجاً

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

تم نشر المقال التالي في 9 شباط 2026 في جريدة زمان الوصل الالكترونية:
https://www.facebook.com/share/p/1G3qZ3LZuw/

في مقال سابق على زمان الوصل بعنوان (عن الشرف ووزارة التعليم العالي)، قمت بتعريف الشرف لغوياً، ومن ثم قمت بتصنيفه باختلاف نوع القيمة التي يمثلها هذا الشرف: مادية أو معنوية، كالشرف المادي للسلطة المستبدة، والشرف المادي للغني.

أما في الشرف المعنوي فذكرت له وجهين، الأول وجه شخصي كشرف المهنة وأخلاقها والذي يعلو أو يهبط من شخص لآخر، أما الوجه الآخر فهو الشرف المجتمعي الذي تقر به (وإن كان باطنياً) الغالبية العظمى من الناس في وطن معين، كشرف الأقلية معارضي الاستبداد (راجع مقالي على زمان الوصل بعنوان: الاستبداد وقدسية المعارضة) والتي جعل الله لها مكانة خاصة في شرائعه، وذكرت نوعاً آخر للشرف المجتمعي وهو شرف المعرفة والإبداع، وهو إقرار المجتمع بتميز شخص ما معرفياً أوإبداعياً كالعلماء والأدباء والفنانين، وكم تخطى هؤلاء الإبداعيون حدود أوطانهم ليصبحوا عالميين ويتم تكريمهم في مسابقات جوائز عالمية، كجائزة نوبل على سبيل المثال.

ويبقى القول أنه في الدول غير المستبدة لايبقى إلا شرف المعرفة والإبداع، ويسقط شرف المعارضة بسبب الحرية ويحل محله شرف المواطنة، ففي بلاد الحرية يكون الجميع شرفاء، أعزاء أمام القانون، وفي بلاد الاستبداد يصبح الجميع عبيداً أذلاء لاشرف لهم.

إن شريف المعرفة والإبداع هو الشخص الذي لايستطيع المجتمع معه أن يسحب هذا الشرف منه، لأن هذا الشرف ذاتي تميز به هذا الشخص دون أن يمنحه إياه أحد، فعلى سبيل المثال قد يقف المجتمع ضد الشاعر المبدع (سعيد عقل) بسبب موقفه العصبوي من الفلسطينيين إبان الحرب الأهلية اللبنانية، ولكن المجتمع لايستطيع التوقف عن سماع

أغاني (فيروز) التي كتبها هذا المبدع من قبيل (سائليني ياشآم) أو (قرأت مجدك) أو (أمي ياملاكي) أو (يارا جدايلها شقر)، فماأروعك ياسعيد عقل رغم عصبويتك، وكم أبكيتنا ونحن نسمع رائعتك (ردني إلى بلادي). مع مثال سعيد عقل أدعو الله كل صباح ألا يسقط أي مبدع في فخ عصبويته.

وهذه دعوة لكل المبدعين السوريين ألا يسقطوا في فخ عصبياتهم، فالمجتمع لايكترث لعصبوي قاتل يستتر وراء ايديولوجيته الأممية، ولكنه يشعر بالقرف وأي قرف والاشمئزاز من مبدع عصبوي يستتر وراء إبداعه (حول الايديولوجيات الأممية، يمكن قراءة مقالي على زمان الوصل بعنوان: الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية).

أما المبدع العلمي فهو من يحميه المجتمع المتحضر لما في علمه نفع لهذا المجتمع وللعالم، فتخيلوا عالماً بدون (اسحاق نيوتن) أبو قانون الجاذبية، أو عالماً بدون (غراهام بيل) مخترع الهاتف، أو عالماً بدون (توماس أديسون) مخترع المصباح الكهربائي وآلة التصوير السينمائي، أو عالماً بدون (نيكولا تسلا) مخترع التردد اللاسلكي، أو عالماً بدون (الكسندر فليمنغ) مكتشف البنسلين.

في كتاب (المائة الأوائل)، وضع كاتبه (مايكل هارت) العالم اسحاق نيوتن في المرتبة الثانية تأثيراً على البشرية بعد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ولكن قبل المسيح عليه السلام، إقراراً منه لفضل العلم على البشرية، بل إن الله تعالى أعطى منزلة الشرف للعلماء (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

لقد كانت حضارة الإسلام حضارة علماء، وعندما بدأت الايديولوجيات الدينية الإسلامية تتغلغل في الدولة غادروها إلى نظام آخر، وهذا يفسر كيف أن تاريخ النهضة الأوروبية يبدأ بسقوط الأندلس، ففي الوقت الذي ظهر به (كوبرنيكوس) و (دافنشي) و (غاليليو)، معلنين سقوط الايديولوجية الدينية المسيحية، كان الشرق يحرق كتب (ابن رشد) معلناً بدء ظهور الايديولوجية الدينية الإسلامية. ماأريد قوله أن المبدع العلمي يتبع النظام السياسي الذي يعطي البيئة التي تحمي علمه من الأفكار العصبوية، فالمبدع العلمي

لايكترث للايديولوجيات العصبوية، من هنا أبدع العلماء السوريون وغيرهم في الغرب عندما غادروا الاستبداد، وكذلك استقبلت أمريكا العلماء الألمان الهاربين من هتلر النازي وجميع العلماء الذين هربوا من الاستبداد، فبلاد العلماء ليست بلاداً مستبدة.

بعد هذه المقدمة الطويلة آن للقارئ أن يسأل: أين جحاذرك في عنوان مقالك؟

في مسلسل (الزير سالم) رائعة المبدعين الراحلين الكاتب (ممدوح عدوان) والمخرج (حاتم علي)، يطرح هذان المبدعان شخصية (جحذر) والذي قام بأدائها الممثل (مصطفى الخاني) وجحذر هذا شخصية محتقرة وبلاشرف، شخصية تشعر بالدونية.

في نهاية المسلسل يغادر (جحذر) إلى الشرق الأقصى ويتعلم فن (الكاراتيه) ويعتقد أن ذلك سيصنع له شرفاً، ويقرر جحذر في نهاية المسلسل أن يقارع صاحب الشرف وسيد تغلب وشاعرها (الزير سالم)، والذي يهزمه كدلالة من الكاتب (ممدوح عدوان) أن الجحاذر تنهزم عند مقارعة أصحاب الشرف، بل زاد (ممدوح عدوان) في نصه أن الذي يقتل جحذراً هم نساء قبيلته بأنفسهم، فهذا مصير الجحاذر.

كم هم كثيرون جحاذر اليوم وقد ملؤوا وسائل التواصل الاجتماعي بتعليقاتهم الجحذرية، وقد اعتقدوا أن عصبويتهم تسمح لهم أن ينازلوا أصحاب الشرف من سلاسة (الزير سالم). وكم هي كثيرة دوائر الدولة الجديدة وهي تعتمد على هؤلاء الجحاذر، وأجلب وزارة التعليم العالي نموذجاً.

لقد كتبت على موقع زمان الوصل ثمان مقالات تتحدث عن مشكلة الموفدين، وكان آخرها بعنوان (عن الشرف ووزارة التعليم العالي)، وكتبت عن حقوقهم الدستورية والقانونية بالتفصيل (راجع مقالي، موفدو التعليم العالي: برسم وزير العدل) وخاطبت في مقالاتي تلك السيد وزير التعليم العالي والسيد وزير العدل والسيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء، لرد هذه الحقوق وإلغاء محاولة التكسب غير المشروع الذي تحاول القيام به وزارة التعليم من اعتمادها على مراسيم استثنائية صاغها الأسد لسرقة الموفدين وكفلائهم، وطلبنا أن يطلع علينا أحد أصحاب الشرف برد قانوني، فما كان منهم

إلا أن أرسلوا جحاذرهم الالكترونية، التي تعلمت (الكاراتيه) مؤخراً كما (جحذر) في مسلسل (الزير سالم). وزيادة على ذلك، قام وزير التعليم العالي في قراره رقم 727/س.و تاريخ 2 تشرين الثاني 2025 التوجيه بمايلي: (التعاقد مع أعضاء الهيئة التدريسية المفصولين بسبب ثوري (أمني) حسب الحاجة الفعلية والتخصص لحين صدور الصك القانوني الناظم)، وهو بذلك يقول صراحة للموفدين العلماء في مجالهم، أنه لامكان لكم هنا مالم تثبتوا ثوريتكم، ونحن هنا لنسرقكم فقط بمساعدة مراسيم الأسد. إن هذه الوزارة (وهي وزارة البحث العلمي) هي الوحيدة في العالم التي تعين باحثيها بصك ثوري، بينما تجلب جامعات العالم باحثين وتدفع لهم أجوراً مرتفعة ليقبلوا أن يعملوا لديها. فأنا على سبيل المثال كنت مدرساً في جامعة دمشق براتب 20 ألف ليرة سورية لأنني رفضت التفرغ (في حال التفرغ 60 ألف ليرة أو 1200 دولار آنذاك)، ولكنني ومع عدم تفرغي عملت في الجامعات الخاصة السورية في نفس الوقت براتب مائة ألف ليرة، وكان لي مكتب هندسي استشاري يجلب لي شهرياً مالا يقل عن 50 ألف ليرة. أي أنني أتكلم هنا عن حوالي 3500 دولار شهرياً قبل الثورة في العام 2011، وكنت واحداً من 12 اسماً في لجنة التدريب الوطنية في نقابة المهندسين السوريين وقد زرت جميع المحافظات السورية وقمت بتدريب مهندسيها، والآن وأنا المدرس في جامعة بريطانية عريقة ولي أكثر من 40 منشوراً علمياً ومدير تحرير مجلتين علميتين، ومدير البحث العلمي في جامعتي البريطانية، وحائز على 3 جوائز تقديرية، ويأتي هذا الوزير ليطالبني بصك لثوريتي، دون أن يعلم أنني كلاعب كرة القدم، لاألعب إلا في أندية الدرجة الممتازة، لا في وزارته التي تطالب بصكوك ثورية، وزارة مليئة بالجحاذر، والله لقد استحقت هذه الوزارة لقب (وزارة الجحاذر).

الغريب أن وزير هذه (الوزارة الجحذورية) الذي يطالبنا بصكوك ثورية، قد ظهرت له فيديوهات ثورية كثيرة أيام الأسد، وأنا أقول له أنه عندما تعطيني نصف ماكنت أتقاضاه قبل الثورة (أي 1500 دولار) فسوف أعود، ويجب التأكد كما أسلفت في مقدمة المقال

أنني لاأعود إلا إلى نظام سياسي يرعى علمي وشرفي الذي استحققته بجدارة، ويحميه من الأفكار العصبوية الثورية كأفكار سيادة الوزير هذا وقراراته، أو من صاغها له.

عندما جاء بعثيو العراق في العام 1963 إلى سوريا، قالوا للوطني البعثي العريق (جمال الأتاسي) وهو الذي رفض دستور حافظ الأسد في (أن البعث قائد الدولة والمجتمع) واستقال من مجلس الشعب، فقالوا له بلهجتهم العراقية (ماكو دم، ماكو ثورة)، فأجاب الأتاسي: (أيها الرفاق أحب أن أنبهكم أن الثورة ليست مؤنث ثور)، وهكذا هم وزراء اليوم الذين لايدركون أن الثورة هي ثورة حضارة وتقدم وعلم وتنمية، لاثورة ثيران وجحاذر، فنحن عندما نتكلم عن الثورة الأوروبية نتحدث عن ثورة وحضارة العلماء ضد ايديولوجيا ثيران الكنيسة المسيحية، ونحن عندما نتحدث عن الثورة الإسلامية نتحدث عن ثورة وحضارة العلماء التي جاء بها الرسول الكريم، متمثلة في حضارة أموية دمشق وعباسية بغداد و أموية الأندلس قبل أن تأتي ايديولوجية ثيران العصبيات الإسلامية.

مما سبق أنادي السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء معاً أن يعيد النظر في وزارته ويبعد عنها وزراء الجحاذر، وكم ضاق الناس بهم ذرعاً. أما لوزير (التعليم والثورة أو الثيران) وفق مفهومه، فإننا نحن الموفدون سنستمر في المطالبة بحقوقنا القانونية والدستورية رغم أنف جحاذرك. وأنصحك أن تعيد إلينا هذه الحقوق قبل أن تغادر الوزارة ويلازمك اللقب، فالحقوق تبقى وأنت زائل.

أما بالنسبة للموفدين فأقول أنه بالرغم من أن دول العالم استقبلتكم بالعلم الذي تحملونه، فإن الدولة الجديدة بقرارات وزارة التعليم العالي وعدم حل مشكلتكم تقول لكم ألا تعودوا، وتقول لكم أنها لاتحتاج علمكم وإنما تهتم أكثر لتوظيف الثيران الثورية مكانكم.

أما للجحاذر فأنا أقول لكم كما قال محمود درويش: (أيها المارون بين الكلمات العابرة، احملوا أسماءكم وانصرفوا). نعم انصرفوا طواعية قبل أن تواجهوا شريفاً من نوع (الزير سالم) فيصرفكم سيفه. آه ماأروعكما يامدوح عدوان وحاتم علي، لروحكما السلام والرحمة.